

الفراغات والبياضات النصية وبناء المعنى في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري
ت(449هـ)

**Textual Lacunae and Blank Spaces: Constructing meaning
in Abu Al-Ala Al-Ma'arri's Epistle of Forgiveness (449
AH)**

عبد الصادق السراوي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس- فاس (المغرب)

essaraoui.abdessadek@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/12/31	تاريخ القبول: 2023/12/07	تاريخ الإرسال: 2023/10/31
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

اهتمت نظريات القراءة والتلقي الحديثة بالقارئ باعتباره عنصرا أساسيا في عملية قراءة النص الأدبي وتأويله، بعدما هيمن المؤلف وبينه النص وما يحيط بهما من ظروف على الخطاب النقدي غريبا وعربيا ردحا من الزمن. وقد شكّلت جمالية التلقي الألمانية واحدة من أهم هذه النظريات؛ إذ اهتمت بالقارئ وفعاليته في قراءة النص الأدبي وبناء معانيه ودلالاته. في هذا السياق، انشغل فوفغانغ إيزر (Wolfgang Iser) (1925-2007) - وهو واحد من أهم المنظرين لهذا الاتجاه النقدي - بالطرائق والعمليات التي من خلالها يتفاعل القارئ مع بنية النص لتحقيق التواصل الأدبي، انطلاقا من تصورات الفلسفة الظاهرية التي لا تعتبر الموضوع القصدي غير منحصر لا في الذات ولا في الموضوع، وإنما في نقطة التقاءهما وليس في واحد منها بشكل مستقل. بناء على ذلك، انشغل إيزر باقتراح مجموعة من المفاهيم الإجرائية التي دافع بها عن نظريته القائمة على التفاعل والتواصل الأدبيين؛ أهمها "القارئ الضمني" و"وجهة النظر الجوال" و"البياضات والفراغات النصية".

تسعى هذه الورقة البحثية إذن إلى استثمار مفهومي "الفراغات والبياضات النصية" وما تتحيه من إمكانات للتفاعل الأدبي بين النص والقارئ لتأويل النص الأدبي والمشاركة في بناء دلالاته، وذلك من خلال نص أدبي ينتمي إلى النثر العربي القديم، وهو رسالة الغفران لأبي العلاء المعري

(ت449هـ)، وذلك للبحث في بنية الفراغات والبياضات التي يتحيمها نص الرسالة للقارئ المفترض الذي يسعى إلى قراءة هذا النص وتأويل دلالاته.
الكلمات المفتاحية: الفراغات؛ البياضات؛ تأويل النص؛ رسالة الغفران.

Abstract

Modern theories of reading and reception have emphasized the reader as a fundamental element in the process of reading and interpreting literary texts, shifting the focus from the author and the text structure to the conditions surrounding them in both Western and Arab literary criticism. German aesthetic reception, in particular, has been a key theory that highlights the reader's role in reading, constructing meanings and interpretations of literary texts. In this context, Wolfgang Kaiser (1925 -2007), one of the prominent theorists in this critical direction, delved into the methods and processes through which the reader interacts with the text's structure to achieve literary communication. This was based on phenomenological philosophy, which doesn't consider the intentional subject to be confined solely within the self or the object but rather at their intersection, with neither existing independently. Consequently, Kaiser proposed several procedural concepts to support his theory of literary interaction and communication, including "the implicit reader," "mobile perspective," and "textual lacunae and blank spaces".

This research paper aims to leverage the concepts of "textual lacunae and blank spaces" and their potential for literary interaction between the text and the reader, to interpret and contribute to the construction of meaning within a literary text belonging to the ancient Arabic prose. Specifically, it focuses on Abu Al-Ala Al-Ma'arri's Epistle of Forgiveness (449 AH) to examine the structural lacunae and blank spaces that the text presents to the presumed reader who seeks to read and interpret its meanings.

Keywords: Textual Lacunae, Text interpretation, The Epistle of Forgiveness

1. مقدمة:

يسعى القارئ من خلال تفاعله مع النص إلى تحقيق التواصل الأدبي. ونظرا للطبيعة الأدبية للنص كونه يقوم على لغة أدبية ذات أبعاد إيحائية ورمزية تنجم عن الاستعمال غير العادي للغة من طرف مبدع النص، فإنها تجعل التواصل الأدبي مختلفا عن التواصل غير الأدبي ومتميزا عنه.

ووصفا لعملية التواصل الأدبي هذه، يقترح إيزر مفهوم الفراغات Gaps والبياضات Blanks بوصفهما آليتين تحققان عملية التواصل الأدبي بين قطب النص وقطب القارئ. وهي فراغات وبياضات تتخلل بنية النص، وتنتج عن "مواقع اللاتحديد" Sport of Indeterminacy التي تجعل الموضوع القصدي في النص الأدبي مفتوحا؛ بحيث يستجيب لتحقيقات غير محصورة للمشاركة في إنتاج الموضوع الجمالي في النص الأدبي. فما لا يقوله النص الأدبي أكثر بكثير مما يقوله، ما يجعل فراغاته الدلالية متعددة²، تبرز من خلال استراتيجيات يحددها هذا النص.

بناء على ذلك، فإن نص رسالة الغفران يتيح للقارئ المفترض الذي سيتلقاه مجموعة من الفراغات والبياضات التي تتيح المشاركة في بناء المعاني والدلالات، نتيجة طريقة السرد والخطاب المعتمدة من طرف المعري. وسنحاول في هذه الورقة البحثية تتبع نماذج هذه والبياضات الفراغات في بنية نص الرسالة، وذلك للإجابة عن سؤال: كيف يفتح نص الرسالة آفاق قراءته وبناء معانيه؟ وكيف تُنتج البياضات والفراغات النصية إمكانية التفاعل مع نص الرسالة وفهم دلالاته؟

2. بنية الفراغات والبياضات في ديباجة الرسالة

تتألف هذه الديباجة من ذخيرة لغوية غير جارية الاستعمال حتى لدى متلقي عصر أبي العلاء. وبناء على وعي المعري بقارئ ضمني يفكر فيه، عمل على شرح تلك المفردات من أجل إزالة التشويش عن ذهن هذا القارئ لتحقيق التواصل الأدبي. غير أن تلك الشروحات اللغوية التي يقدمها، لا تضمن فهم المعنى، وبالتالي تتخللها فراغات يعمل القارئ على ملئها وفق كفاءته

الذهنية. فكلمة "حماطة" مثلا، يشرحها المعري شرحا يضمن لها معناها في مرجعها التداولي الأصلي بأنها: "ضرب من الشجر"، وفي موضع آخر أنها "حُرقة القلب". لكنَّ سياقها في النصَّ جردها من هذا المعنى وأكسبت دلالات أخرى جديدة لغايات في نفس المبدع من خلال فراغ يجردها من دلالتها الأولى الواردة في الشرح، وتفتح مجالا أوسع لبناء معنى جديد لا تقوله العبارة الواردة فيها، وإنما يُنتجها القارئ من خلال مبدأ التعاون. فقول المعري بعد توضيح معنى الحماطة: "تثمر من مودة الشيخ"، والثمار هنا تأخذ معنى رمزيا غير الثمار التي تثمرها الأشجار في الواقع، تترك فراغا يفتح باب التأويلات على مصراعيه. وقبلها عبارة "في مسكني"، والمسكن هنا لم يقدم له المعري أي وصف معين مما يجعل القارئ يشغل ذاكرته لتخيل هذا المسكن من حيث شكله ومعماره حسب مرجعياته الفكرية والمعرفية والتفيسية، ثم تخيل هذه الشجرة وسط هذا المسكن التي قد تكون شجرة رمزية ليست حقيقية.

وكذلك لفظة "الحضب" التي شرحها المعري بأنها "ضرب من الحيات"، غير أن هذا الشرح الذي يزيل حجاب الغموض عن ذهن القارئ لا يكسبها المعنى الذي يريده النص، فهو مجرد معنى في مرجعها التداولي، ما يجعل القارئ يبني دلالات جديدة حسب فهمه. فعبارة "يضمّر من محبة الشيخ" تفتح باب التأويل من خلال استنتاج العلاقة بين الخضب والمحبة في علاقة المعري بالشيخ (ابن القارح).

والأمر نفسه ينطبق على لفظة "الأسود"؛ كونها لفظة ضمن سجلّ الألوان، انتزعت من سياقها التواصلّي الأصلي، ووظفت في فضاء نصّي جديد لتؤدّي معان جديدة حسب قصديّة المؤلف. فعبارة "وأنّ في منزلي لأسود" تفرغ لفظة "الأسود" من معناها الأصلي وتكسبها معانٍ جديدة، تفتح للقارئ نوافذ التأويل من خلال التأليف بين هذه اللفظة وبعض العناصر الأخرى داخل القطعة التي وردت فيها؛ بحيث حشر المعري إلى جانبها مجموعة من الأشخاص الذي عرفوا بالأسود في أسمائهم أو ألقابهم، وكذا إيراد مثنيات كثيرة الأسودان: الهنم والماء، الأسودان: الحرّة الغابرة والظلماء، والأسودان: الماء والتّمر وغيرها. "فبدون توليف لا يمكن فهم عناصر متفرقة تمّ انتقاؤها من الواقع، وتمّ عزلها عن سياقها الأصلي وبدون انسجام بين هذه العناصر لن يتحقّق التواصل المطلوب"³.

ويتأكد من خلال هذه النماذج من الألفاظ اللغوية أن هذه الديباجة تتخللها فراغات نصية وبياضات متروكة للقارئ كي يملأها من أجل المشاركة في تشكيل المعنى. كما يتأكد أيضا أن المعنى لا يتجلى في الكلمات، وأن عملية القراءة لا يمكنها بالتالي أن تكون مجرد تعرف على الدلائل اللسانية الفردية. وهنا يجب على الفهم أن يعتمد على إضمادات الجيشتالت باعتبارها "ارتباطات ذاتية"* بين الدلائل النصية⁴.

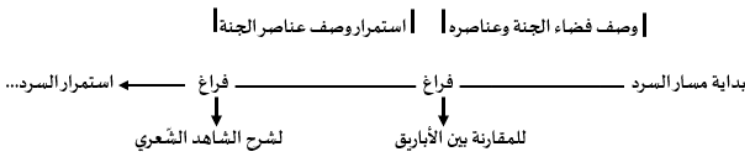
3. بنية الفراغات والبياضات في قسم الرحلة

تفرض طبيعة السرد المعتمدة من طرف المعري إلى تبين مناطق الفراغات والبياضات في منطقتين: المنطقة المفصلية التي يتوقف فيها السرد، ومنطقة الجملة أو العبارة التي ترتبط بمنظور السارد أو الشخصية. ففي المتن السردية الذي يبدأ في هذا القسم بنقل القارئ إلى فضاء الجنة بجعل ابن القارح شخصية سردية تتجول في هذا الفضاء وتؤدي أدوارا بتفاعلها مع شخصيات أخرى، تتألف العناصر اللغوية لتشكّل عالما متخيلا من خلال نسق محدد من أنساق السرد التي يعتمدها المعري السارد. ومن خلال آلية التضمين التي يعتمدها هذا السارد؛ بتضمين قصة كبرى إطارية قصة فرعية تعمل على تكسير مسار السرد في الأولى، فيحصل فراغ أو بياض بين عناصر القصة الإطار نتيجة قصة صغرى ضمنها. وإلى جانب آلية التضمين، تحصل بين مقاطع السرد في مواضع أخرى من النص فراغات وبياضات أخرى تنتج عن آلية الشرح والتفسير أو آلية التوثيق والتحقيق التي تفرض على وجهة نظر القارئ الجوال حركة حلزونية كما سبق تبين ذلك. وسنقدم هنا نموذجا عن كل آلية من هاتين الآليتين من هذا القسم.

1.3 - نموذج الفراغات والبياضات من خلال آلية الشرح والتفسير والتوثيق

في القصة الإطار (قصة تجول ابن القارح في الجنة)، يبدأ مسار السرد مباشرة بجعل شجرة في الجنة غُرست خصيصا لابن القارح، فيستمر السرد في وصف فضاء الجنة الذي توجد به هذه الشجرة وما يشتمل عليه من عناصر ومكونات، ويبدأ حوار ابن القارح مع الولدان المخلدون كعنصر من عناصر الجنة، فينقطع مسار السرد بإيراد بيتين شعريين للشاعر "أبي الهندي" من أجل توضيح الفرق بين أباريق الجنة والأباريق المألوفة في الدنيا،

وفي مقاطع السرد المؤلفة للقصة الإطار، تتخلل الفراغات والبياضات أيضا الجمل المؤلفة لها. ففي هذه العبارة من القصة: "الولدان المخلدون في ظلال تلك الأشجار"، يصف السارد فعل القيام والجلوس الذي يقوم له الولدان، لكنّه لا يقدّم وصفا لهؤلاء الولدان، من حيث شكلهم وحجمهم ولونهم وسنّهم؛ ما يجعل القارئ يملأ هذا البياض وفق تصوراتهِ وتخيّلاته الذهنيّة. وكذلك الأباريق التي في الجنة لا يقدّم لها السارد أي وصف في شكلها أو حجمها أو زخرفتها، مما يجعل ذهن القارئ يملأ هذا البياض لتصورها. ويمكننا توضيح الفراغات المتضمّنة في هذه القطعة من خلال الترسّمة الآتيّة:



2-3- نموذج الفراغات والبياضات من خلال آلية التّضمين

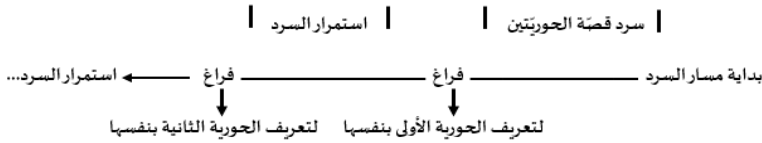
وسط القصّة الإطار في هذا القسم (طواف ابن القارح في الجنّة) التي يلتقي فيها بمجموعة الشّخوص من عوالم مختلفة الإنسان والحيوان والجنّ والملائكة، يلتقي ابن القارح بأسد، فيبدأ السّرد بهذه العبارة: «ويحمّ فإذا هو بأسد يفترس من صيوان الجنة وحسبها...»⁸. وفي مسار سرد هذه القصّة المتخيّلة، ينقطع السّرد بإيراد قصّة واقعية تبدأ بقول الأسد: «أتدري من أنا أيها البرّيع، أنا "أسد القاصر"»⁹، فيبدأ في سرد قصّة الكلب الذي افترس عتبة ابن أبي لهب في الدنيا في عهد النّبي صلى الله عليه وسلم، ثم يستمرّ السّرد مجدداً: «ويمرّ بذئب يقتنص ظباء فيُفنى السّربة بعد السّربة...»¹⁰، فيتوقّف السّرد مجدداً بتضمين هذه القصّة الخيالية قصة واقعية تبدأ بقول السارد: «فيقول أنا الذّئب الذي كلّم "الأسلي" في عهد النبي صلى الله عليه وسلم...»¹¹ ثم تنتهي هذه القصّة، ويستمر سرد طواف ابن القارح في الجنّة: «فيذهب عرفه الله الغبطة في كل سبيل فإذا هو ببيت في أقصى الجنة...»¹².

تتخل هذا المقطع نوعان من الفراغات والبياضات: الأولى ناتجة عن انقطاع مسار السّرد، والثانية تحدث على مستوى عبارات وجمل القصّة الإطار، فمثلاً قول السارد: "إذاً هو بأسد"، لا يقدّم السارد أي أوصاف لهذا الأسد في الجنة ما يجعل القارئ يتخيّله حسب قدراته الدّهنية، والسّيء نفسه ينطبق على كلمة الذئب. ثمّ في قوله "إذاً هو بيت في الجنة" لا يصف هذا البيت لا شكلاً ولا حجماً، فترك بذلك بياضاً يتطلب من القارئ ملؤه حسب قدراته الدّهنية.

وفي مقطع آخر يستحضر فيه السارد قصة ابن القارح مع الحوريتين، يبدأ السارد هذه القصّة بقوله: «ويخلو لا أخلاه الله بحوريتين له من الحور العين...»¹³، ويستمر السّرد ثم ينقطع حين تبدأ هذه الحورية بسرد قصّة أخرى واقعية للتعريف بنفسها: «على أنني كنت في الدّار العاجلة أعرف بـ "حمدونة" وأسكن في "باب العراق بحلب"»¹⁴، ثم تنتهي هذه القصّة بقولها: «فصيرني ذلك إلى ما ترى»¹⁵، فيعود السّرد إلى المسار الأوّل مجدداً بقول السارد: «وتقول أخرى: أتدري من أنا يا علي بن المنصور؟»¹⁶ فينقطع السّرد حين تبدأ الحورية الثانية بسرد قصّتها: «أنا "توفيق السّوداء" التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمن أبي

المنصور...»¹⁷. ثم تنهي قصتها ويعود السرد مجدداً إلى مسار تجوّل ابن القارح في الجنة: «ويمرّ ملك من الملائكة فيقول: ...»¹⁸. فتضمين قصة إطار قصتين يتضح من خلال تعدّد السارد، السارد في الحكاية الإطار هو المعري، وفي القصة السارد الأول الحورية الأولى والسارد الثالث الحورية الثانية.

وفي هذا المقطع تحدث الحكمة المعتمدة في السرد فراغات بين مقاطع هذه الحكاية الإطار ليتخيّل القارئ موقع هذين القصّتين وسط هذه القصّة وعلاقة ذلك بالغفران؛ كيف أن الفتاتين أصبحتا حوريتين بعدما كانتا منبوذتين في الدّنيا. وفي مقاطع الحكاية الإطار بالإضافة إلى هذه الفراغات، ثمة بياضات تتضمنها العبارات المؤلفة لها؛ ففي قول السارد: "حوريتين من الحور العين"، لا يصف السارد هذه الحوريتين، فيسمح البياض هنا للقارئ تخيّل هاتين الحوريتين وفق مرجعياته الدينيّة وقدراته الدّهنية. ونوضّح من خلال هذه الترسّمة الفراغات والبياضات في هذه القطعة كما يلي:



4- بنية الفراغات والبياضات في قسم الرّد

يتيح تحوّل طريقة الخطاب في هذا القسم للقارئ فراغات وبياضات لبناء الفهم والمشاركة في إنتاج المعنى وفق استراتيجية الخطاب التي يعتمدها المعري. ويمكننا - بناء على طبيعة الخطاب في هذا القسم - تتبّع نوعين من هذه الفراغات والبياضات: النوع الأول؛ متضمّن في خطاب المعري الذي يحضر هنا بصفتين: قارئ ومُخاطب، والنوع الثاني؛ ناتج عن النّص السابق المتحكّم في خطاب المعري، نقصد رسالة ابن القارح. ونقدّم فيما يلي بعض نماذج هذين النوعين من خلال مقاطع متفرّقة من النّص.

يبدأ الخطاب في هذا القسم مباشرة بعد عبارة ينهي بها المعري القسم الأول، ويجعلها جسر عبور نحو القسم الثاني تنبئ عن طبيعة هذا الخطاب وهي قوله: «وقد أطلت في هذا الفصل، ونعود الآن إلى الإجابة عن الرسالة»¹⁹. ثم يبدأ مباشرة في الرد على رسالة ابن القارح قائلا: «فهمت قوله "جعلني الله فداءً" لا يذهب إلى النفاق ويبعد ابن آدام من الوفاق. وهذه غرزة خصّ بها الشيخ دون غيره، وتعايش العالم بخداع، وأضحوا من الكذب في إبداع. ولو قالت "شيرين" الملكة "لكسرى": جعلني الله فداءً في إقامة أو سُرَى، لخالبتة في ذلك ونافقتة، وإن راقته بالعطل ووافقتة، على أنه أخذها من الحال دنيّة، فجعلها في النعمى السنيّة، وعتبه في ذلك الأحباء، وجرت لهم في ذلك قصص وأنباء»²⁰.

ففي هذا المقطع الأول من هذا القسم يكون القارئ إزاء فراغين: الأول ناتج عن قول ابن القارح "جعلني الله فداءً"؛ فهذه العبارة مقتطفة من خطاب ابن القارح، وبالتالي تترك بياضاً في الفهم يتوجب على القارئ العودة إلى الرسالة القارحية من أجل ملء هذا البياض بفهم السياق الذي جاءت فيه. فالفهم الذي يقدمه المعري هنا كقارئ فهم خاص به، وقد يفهم القارئ الآخر عكس هذا الفهم بعودته إلى سياق العبارة في رسالة ابن القارح. أما الفراغ الثاني، فيتيحه خطاب المعري كمُخاطَب؛ فكلمة "شيخ" مثلاً، التي ينعت بها المعري ابن القارح، تترك فجوة في ذهن القارئ؛ فهي في سياقها المرجعي كلمة تدلّ على الوقار والاحترام والتقدير، لكنها هنا قد تخرج عن هذا المعنى إلى معنى عكسي، فيفهمها القارئ على أنها على سبيل الذم والسخرية والتهكم لا على سبيل الوقار والتعظيم.

وبعد هذا المقطع، يأتي خطاب من المعري شارحاً العلاقة الناتجة عن تلك العبارة الأولى بقوله: «كم من شبل نافق أسداً، وأضمر له غلاً وحسداً! ولبوة تُداجي هِرْمَاساً (من أسماء الأسد)، تنبذ له المِقة وتُبغِضُ له لباساً! وضيغم نغم على فرهود، وودّ لو دفنه بالوُهود! (...) وكم خالبت الذئاب السلق، وفي الضمائر تكن الفلق...»²¹. فالمعري هنا يقدم نماذج لأزواج من الحيوانات يُضمر الواحد منها للآخر شعوراً عكس الذي يُظهر، وبهذه النماذج يترك بياضات تتطلب من القارئ ملأها حسب فهمه لاستنتاج حقيقة العلاقة بين المعري وابن القارح التي لا يفصح عنها بشكل مباشر.

وبعد ثلاث صفحات من الرد على تلك العبارة التي افتتح بها ابن القارح خطابه في قوله: «أطال الله بقاء مولاي الشيخ الجليل، ومدّ مدّته، وأدام كفايته وسعادته، وجعلني فداءه وقدّمني قبله على الصّحة والحقيقة»²²، ينتقل المعري إلى الرد على عبارة أخرى منه بقوله: «فأما الحمامة الهاتفة، فقد رزقها البارئ صيتاً شائعاً، وظلّ وصفها بالأسف ذائعاً؛ تنهض إلى التقاط حبّ وتود إلى جوزلها ذات أبيّ، فإن هي صادفته أكيل سؤذانيّ، ليس من أبصر أثره بالأنق، إذا به ظفر شاهين، وهي البائسة من اللاهين، فما هي إلا مثل الحيوان، تملّ حالها في أقصر أوانٍ»²³ وهنا يحدث فراغ في ذهن القارئ من خلال قوله "وأما الحمامة الهاتفة"، فأى حمامة يقصد؟ للجواب على هذا السؤال وملء هذا الفراغ يتعيّن على القارئ العودة إلى رسالة ابن القارح. وبعد تلك العبارة، تبدأ فقرة أخرى بقول المعري: «إنني لمكذوب عليه كما كذبت العرب على الغول، وإنما عمّا يؤثر لفي شُغول، وكما تقوّلت الأمثال السائرة على الضّبّ، وله بالكدة إرباب الضّبّ، وكما تكلمت على لسان الضّبّ وهي خرساء، ما أطلق لسانها الوضّح ولا المساء»²⁴. ففي هذا المقطع فراغ في عبارة "مكذوب عليه"، ويتوجّب على القارئ العودة إلى خطاب ابن القارح لمعرفة ما الذي كُذّب على المعري فيه.

وبالإضافة إلى هذه الفراغات التي يتركها خطاب ابن القارح ولا تُملأ إلا بالعودة إليه، هناك فراغات أخرى في خطاب المعري الرادّ على خطاب ابن القارح؛ ففي عبارة "كما كذبت العرب على الغول"، نجد فراغاً ناجماً عن عدم إيراد المعري لحكاية الغول وعدم وصفه له، مما يدفع القارئ إلى البحث عن هذه الحكاية لفهم المعنى وملء هذا الفراغ. وكذلك قوله "وكما تقوّلت الأمثال على الضّبّ" لم يرد هذه الأمثال السائرة في الضّب أو بعضها منها، ما يجعل القارئ يبحث في هذه الأمثال لملء هذا الفراغ وتكوين الدلالات الكاملة.

وفي مقطع آخر يقول: «وأما وروده حلب - حرسها الله - فلو كانت تعقل لفرحت به فرح الشّمطاء المنهبة، ليست بالآبلّة ولا المؤتبلّة، شحط سليلها الواحد وما هو حقّها جاحد، وقديم بعد أعوام، فنقّعت به فرطاً وام، وكانت معه كالخنساء ذات البرزغ...»²⁵. ففي هذا المقطع فراغات يجب أن تملأ بعودة القارئ إلى خطاب ابن القارح عن وروده مدينة حلب ولقائه بعلمائها، وفي قوله: «ووردت حلب ظاهرها حماها الله وحرسه، بعد أن مُنيت برّيضها

بالدُرْخَمِينَ وَأُمَّ حَبَوَكَرَى وَالْفُتُكْرَيْنِ.. فلما دخلتها وبعدُ لم تستقر بي الدَّار وقد نكرتها لفقدان معرفة جار»²⁶، لیتتم القراءة بملء هذه البياضات. ويفهم من قوله: "لفرحت به فرح السَّمْطَاءِ المُهْبِلَةِ" على أنه خطاب مليء بالسَّخَرِيَّةِ، فالسَّمْطَاءُ لها دلالات قدحيَّة باقتراؤها إلى لفظة المُهْبِلَةِ.

وهكذا تتضافر الفراغات إلى جانب البياضات على مستوى خطاب الرَّد من الرسالة لإتاحة المشاركة في فهم الدلالات وتأويلها عن طريق ملء هذه الفراغات بالعودة إلى رسالة بن القارح أولاً، ثم بملء الفراغات والبياضات الموجودة في خطاب المعريِّ بناءً على تخمينات القارئ وقدراته الذهنية ثانياً.

5. الخاتمة:

إن خطاب المعري في رسالة الغفران خطاب رمزيِّ بامتياز. ولذلك فقد عمد إلى ترك بياضات وفراغات في البنية النصِّية لرسالته وفق استراتيجية خطابية ارتبطت بمقاصده وغاياته التي يسعى إيصالها إلى المتلقي الأول ابن القارح، وكل متلقٍ على شاكلته، وذلك لبناء المعاني المسكوت عنها في بنية الرسالة وفهم الدلالات، بناءً على ملء تلك البياضات وإتمام الفراغات التي نجمت عن طبيعة اللغة المعتمدة في الخطاب.

وينمَّ ذلك عن وعي المعريِّ بقارئ مفترض يقبع في وعيه، يفكر فيه وفي كَيْفِيَّة تفاعله مع البنية النصِّية لرسالته من أجل قراءة فعَّالة لها.

هوامش البحث:

¹ - نستعمل المصطلحين هنا ليس بمعنى واحد بناءً على ترادفهما، وإنما نقصد بكل واحد منها معنى خاص تبعاً لتصوُّر إيزر لهما؛ فالفراغات ترتبط ببنية النصِّ الداخليَّة على مستوى اللغة، بينما البياضات تتصل بالمنظورات النصِّية وتحت القارئ على التنسيق بينها. (يُنظر: فولفغانغ إيزر، فعل القراءة، ترجمة الجيلالي الكدية وحاميد لحاميداني، ص 98-101).

² - عبد الواحد المرابط، (2015)، "استراتيجيات النصِّ وأفاق التأويل، مقاربة جمالية لمجموعة 'عندما يومض' البرق للزهرة رميح"، النقد النصي واستراتيجيات القراءة، منشورات شعبة مختبر البحث في اللغة والآداب والتواصل، كلية المتعددة التخصصات، تازة، ص 176.

³ - المرجع السابق، ص 177.

*- استعار إيزر هذا المصطلح من "مولز" لوصف العلاقة المتبادلة بين الدلائل النصية السابقة عن إثارة استعداد القارئ.

⁴ - يُنظر: فعل القراءة، ص 71.

⁵ - رسالة الغفران، ص 145.

⁶ - المرجع نفسه، ص 146.

⁷ - المرجع نفسه، ص 147-148.

⁸ - المرجع نفسه، ص 304.

⁹ - رسالة الغفران، ص 305.

¹⁰ - المرجع نفسه، ص 306.

¹¹ - المرجع نفسه، ص 306.

¹² - المرجع نفسه، ص 307.

¹³ - المرجع نفسه، ص 284.

¹⁴ - المرجع نفسه، ص 286.

¹⁵ - المرجع نفسه، ص 287.

¹⁶ - المرجع نفسه، ص 287.

¹⁷ - المرجع نفسه، ص 287.

¹⁸ - المرجع نفسه، ص 287.

¹⁹ - رسالة الغفران، ص 379.

²⁰ - المرجع نفسه، ص 381.

²¹ - رسالة الغفران، ص 383.

²² - رسالة ابن القارح، ص 21.

²³ - رسالة الغفران، ص 385.

²⁴ - المرجع نفسه، ص 389.

²⁵ - رسالة الغفران، ص 393.

²⁶ - المرجع نفسه، ص 24-25.

مصادر الدراسة ومراجعها

الكتب:

- إيزر، فولفغانغ (1994م) فعل القراءة: نظرية جمالية التجاوب، ط1، ترجمة حميد الحميداني والجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس - المغرب.
- علي بن المنصور، ابن القارح، (2008)، رسالة ابن القارح، ط11، تحقيق عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، ضمن النص المحقق لرسالة الغفران، ذخائر العرب، دار المعارف، القاهرة- مصر.

- لحميداني، حميد، (1991)، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب.
- المعري، أبو العلاء، ط11، (2008)، رسالة الغفران، تحقيق عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة- مصر.

المقالات:

- إيزر، فولفغانغ (1995م) "آفاق نقد استجابة القارئ"، ترجمة أحمد بوحسن، مراجعة محمد مفتاح، من قضايا التلقي والتأويل، منشورات كلية الآداب، الرباط- المغرب.
- المرابط، عبد الواحد، (2015م)، "استراتيجيات النص وآفاق التأويل، مقارنة جمالية لمجموعة 'عندما يومض' البرق للزهرة رميح"، النقد النصي واستراتيجيات القراءة، منشورات شعبة مختبر البحث في اللغة والآداب والتواصل، كلية المتعددة التخصصات، تازة- المغرب.